عندما فرض ياسين الهاشمي قيوداً على تصرفات الملك!

بقي الملك فيصل الأول قلقاً على مستقبله السياسي برغم اجماع أغلب العراقيين على حكمه ، فكان يخشى من أن يأتي اليوم الذي يطلب فيه التنازل عن عرش العراق كونه غير عراقي الأصل ، وأن كان عراقي الفعل ، فكان يفاتح بعض مقربيه عن مستقبله السياسي ، إذا انقلبت الحالة في العراق ، واضطره الحال كما اضطر أبوه الملك حسين وأخوه الملك علي إلى ترك البلاد ، وليست لديه ثروة تؤمن مستقبله ، وقد اقترح عليه أحدهم أن يضع مبلغاً من المال في أحد بنوك سويسرا تعينه على عاديات الزمن ، عاش الملك ، مات الملك ولم تثبت الوقائع التاريخية أنه قد وضع رصيداً في بنوك سويسرا أو غيرها .

ياسين الهاشمي

الملك غازي

د. حيدر حميد

ومما زاد من قلقه في حياته أن ابنه وولي عهده الأمير غازي كان ينقصه الكثير من المؤهلات الشخصية ليكون ملكاً من بعده قادراً على إدارة دفة الحكم، وقد استعان الملك فيصل الأول بأفضل الخبرات الوطنية والأجنبية من أجل تدريبه وتأهيله، إلا ان النتيجة كانت من دون ما كان يأمله، إذ ظهر الأمير غازي، كما يقول توفيق السويدي بأنه " لم يكن في درجة ذهنية تمكنه من الاستفادة من الدروس التي تلقى عليه من قبل أساتذة عديدين كل فيما يتعلق باختصاصه" ، ولم يفد إرساله إلى إنكلترا ودخوله مدرسة هارو الثانونية فقفل راجعاً بعد سنة من دون نتيجة، وأخر مرحلة قطعها الأمير غازي في طريق تثقيفه وإعداده كانت إدخاله الكلية العسكرية.

ولما توفي الملك فيصل الأول عام ١٩٣٣ وتولي ابنه الأمير غازي سلطاته الدستورية بوصفه ملكاً على العراق باسم غازي الأول، اعترى الخوف العديد من السياسيين ، وفي مقدمتهم نوري السعيد وجعفر العسكري، الذين نظروا إلى الملك الجديد ، على أنه لا يمتلك تدريباً يؤهله لقيادة البلاد، وليس له قدرة على ممارسة نفوذ مؤثر على الطبقة السياسية، كما كان يفعل والده ، وقد اثبتت الأحداث التاريخية لاحقاً صواب ما ذهب إليه هؤلاء، ومما زاد من تعقيدات الأمور سوءاً كما يذكر وكيل رئيس الديوان الملكي في حينها عبد الكريم الأزري في مذكراته " تاريخ في ذكريات" طيش الملك وقلة تقديره لمسؤولياته تجاه نفسه وأسرته وشعبه ومنصبه الملكي الذي يحتم عليه انتهاج سلوك يليق به وعرشه برغم ما عرف عن وطنيته واخلاصه وحب الشعب العراقي له، هذه التصرفات أثارت استياء الساسة ولاسيما رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ورئيس الديوان الملكي محمد رستم حيدر، ولعل أكثر ما كان يزعجهم في ذلك، الليالي الحمراء والسهرات المتواصلة الصاخبة التي كان يحييها الملك بصحبة أصدقائه من ضباط الجيش الذين كانوا على شاكلته في قصر الملح بمنطقة الحارثية، وقد انطوى ذلك على مخاطر عديدة تسيء إلى الملك من جهة وإلى إمكانية استغلاله استغلالاً غير مشروع، الأمر الذي ينذر بمضاعفات سياسية خطيرة لا يحمد عقباها، وقد ابدى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي اهتماماً استثنائياً لهذا الأمر، فبادر إلى فرض قيود على الملك لعلها تعيده إلى صوابه، بإصداره بتاريخ حزيران ١٩٣٦ أوامر مشددة إلى وزير الدفاع في حكومته جعفر العسكري الذي بدوره نقلها إلى رئيس أركان الجيش طه الهاشمي والتي نقلت إلى رئيس مرافقي الملك، وقد نصت تلك الأوامر على وجوب عدم الاتصال بقصر الزهور الا عن طريق رئيس المرافقين أو من ينوب عنه من المرافقين، وعلى رئيس المرافقين أن يزود وزير الدفاع بواسطة رئيس أركان الجيش بتقارير يومية تحتوي على أسماء الأشخاص الذين يدخلون قصر الزهور أو يخرجون منه من رجال ونساء مع بيان ساعات الدخول والخروج، وان تجري المخاطبات الهاتفية مع قصر الزهور بواسطة المرافقين، ولا يسمح لأية سيارة تحمل أشخاصاً من الرجال أو النساء بدخول القصر الا باذن خاص ويستثنى من ذلك موظفو البلاط الملكي والقصر ومستخدموه والوزراء ورجال الدولة، ولا تخرج منه سيارة من سيارات البلاط الملكي أو القصر إلا برفقة شرطي بلباسه الرسمي على أن تحدد الجهة التي ستذهب إليها كل سيارة قبل خروجها.

كما طلب رئيس الديوان محمد رستم حيدر من ناظر الخزينة الملكية شاكر حميد بتجهيز الملك غازي بكمية محددة من مشروب الويسكي ، الا ان الملك اخذ يبعث خادمه " زيا" ليشتري له من السوق الكميات التي يريدها من ذلك المشروب.

وقد شعر الملك بضيق شديد من هذه القيود ، ولاسيما أن الذين عهدت اليهم تنفيذ أوامر رئيس الوزراء هم مرافقو الملك، وفي الواقع لولا أن هذه التصرفات التي عدت غير لائقة بمقام الملك ومركزه السامي لكانت هذه الإجراءات عدت مساسة بالملك وبسلطاته الدستورية وتجاوزاً على مقامه وحريته ولكانت استغلت من المعارضين لحكم ياسين الهاشمي ووزارته استغلالاً كبيراً ، ولكن تصرفات الملك التي كانت امراً مكشوفاً وقضية الأميرة عزة هي التي خففت من انتقادات الناس لإجراءات ياسين الهاشمي .

مهنة المحاماة في بغداد أصلها من باب الشيخ

شاعر يصف ممارسيها بالشياطين

طارق حرب

مَحلة باب الأزج (وتقرأ الهمزة بالفتح أو الكسر أو الضم) وهي محلة باب الشيخ من محلات بغداد تقع بين سور بغداد الشرقي (سدة ناظم باشا) الذي يقع مكانه في مكان قريب من شارع المرور السريع حالياً ومحلة (الكولات) شمالاً ومحلات سراج الدين ورأس الساقية و(السنك). واسمها القديم هو (باب الأزج) وبعد ذلك تحول اسمها الى (باب الشيخ) نسبة الى سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني المدفون فيها عام ٥٦١ هجرية صاحب المرقد المعروف والجامع المعروف المسمى باسمه. وكان هذا الجامع بالاصل مدرسة للحنابلة أنشأها القاضي المبارك بن علي أبو سعد المحزمي المتوفى ٥١٣ هجرية حيث بنى مدرسة باب الأزج الذي أفتى ودرس وجمع كتب كثيرة. وكان حسن السيرة جميل الطريقة شديد الأقضية.. واذا كان العصر العباسي قد شهد قضاة لمدينة بغداد بأجمعها وقضاة لمناطق كبيرة فيها كمنطقة الكرخ ومنطقة باب الطاق والمنطقة الشرقية (الرصافة) فان منطقة باب الشيخ تم تخصيص قضاة لها وهذا يعني انها كانت من المناطق الكبيرة في بغداد وان كان ذلك لفترة زمنية معينة ذلك ان تخصيص قضاة لهذه المنطقة يعني انها كانت في هذه الفترة منطقة كبيرة، الأمر الذي استدعى تخصيص قضاة لها وذلك يثبت انها تناظر محلات بغداد الكبرى الأخرى التي تم تخصيص قضاة لها. فمن قضاة بغداد بأجمعها الامام أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري المتوفى ١٨٢ هجرية وولده يوسف واسماعيل بن اسحاق ٢٨٢ هجرية وآخرون.

أما المنطقة موضوع بحثنا وهي باب الأزج فان أول قضاتها كان عبدالعزيز بن أحمد الخرزي ٣٩١ هجرية وكان فاضلاً فقيهاً، كريم النفس، حسن المنظر، جيد الكلام على المذهب الظاهري وهو صاحب فطنة له قضية مع أحد الوكلاء المحامين سنذكرها لاحقاً. وبعد وفاته تولى القضاء في هذه المنطقة ابنه أبو القاسم ومن القضاة القاضي أبو يعلى الفراء الحنبلي ٤٥٨ هجرية حيث كان يخصص يوماً لمنطقة نهر المعلى ويوماً لباب الأزج. وقد كتب العديد من الكتب منها كتاب الاحكام السلطانية وهو في الأمور الدستورية والادارية في مصطلح يومنا هذا وكتاب الاعتقاد وكتاب التوكل وكتاب الخصال وغيرها وكان صاحب ورع وعفة عالماً بالقرآن والحديث والجدل والقاضي باي بن جعفر الجلبي ٤٥٢ هجرية والقاضي يعقوب بن ابراهيم البرزبيني ٤٨٦ هجرية والقاضي الحسين بن علي البغدادي (ابن البقال) ٤٧٧هجرية وهو شيخ من شيوخ المذهب الشافعي أو من القضاة عزيزي بن عبدالملك الملقب بابن شيذله ٤٩٤ هجرية وكان شافعياً وكانت فيه حدة لسان وبذاءة مع أهل باب الأزج. قال بحضرة نقيب النقباء: لو حلف شخص انه لا يرى انسانا فرأى أهل باب الأزج فانه لم يحنث. فرد عليه النقيب: يا هذا من عاشر القوم أربعين يوماً كان منهم والقاضي المبارك بن علي المحزمي ٥١٣ هجرية أفتى ودرس وجمع كتب كثيرة وكان شديد الأقضية والقاضي ابراهيم بن نصر بن يوسف ٥١٨ هجرية.اضافة الى قضاة آخرين ذكرهم الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد وابن الجوزي في المنتظم.

أما المحامون بالمصطلح الذي نطلقه اليوم على من يمارس الوكالة بالخصومة أمام قضاة بغداد في ذلك العهد فهم كثيرون ذكرت لنا المصادر بعضهم ولكن الذي يميزهم ان أغلبهم من أهل باب الأزج (باب الشيخ) وهي سمة اتصفت بها تلك المحلة في بغداد في تلك الفترة. وهذا دليل آخر يؤكد ان محلة باب الأزج كانت من المحلات الكبيرة في بغداد. إذ لم نجد محل سكنى المحامين الآخرين وفي أية منطقة من مناطق بغداد. أي ان السكنى كانت في الكرخ أما الجانب الشرقي من بغداد (الرصافة) اذ لم يرد ذكر أية محلة لسكناهم من محلات بغداد وعلى الرغم من ان الغالب على أهل هذه المحلة انهم من مذهب الحنابلة فان المصادر لم تتولَ ذكر مذاهبهم. لا بل نجد ان بعضهم كان يلقب بـ (الأزجي) نسبة الى باب الأزج ولا أعلم كيف تحول هذا اللقب الى لقب (الشيخلي) والذي أراه ان سبب ذلك يكمن في هجر تسمية باب الأزج ونسيانها وحلول تسمية (باب الشيخ) بدلاً منها نحو ما أسلفنا ومن الوكلاء (المحامون) من أهل هذه المحلة:

١. أحمد بن علي بن الحسين المتوفى ٥٧٤ هجرية.
٢. محمد بن أحمد بن الفرج أبو منصور بن الدقاق المتوفى ٥٧٥ هجرية.
٣. أحمد بن علي بن الحسن.
٤. أحمد بن صالح بن ظاهر المغربي المتوفى ٥٩٧ هجرية.

ومن المحامين المشهورين الذين ذكرتهم المصنفات وكتب التاريخ مع المشهورين من محامي بغداد في تلك الفترة المحامي زين الدين أبو البركات دواوين أحمد الأزجي وهذا الوكيل كان يلقب باسم محلته (باب الأزج) وقد توفي عام ٦١٠ هجرية والمحامي داود بن أحمد بن محمد أبو البركات البغدادي المتوفى عام ٦١٦ هجرية إذ اعترفت المصادر بالحذق والمهارة والمقدرة الفائقة والنجاح في كل قضية يترافعون فيها. ويروي ابن الجوزي في كتابه المنتظم بعض ملح الحكايات وطرائف الأخبار عن الوكلاء في تلك الفترة حيث يذكر (ان أحد المحامين أنفعل في دفاعه عن موكله حتى أجهش بالبكاء. فما كان من القاضي الخرزي ان قال للموكل: توقف عن البكاء وأرني وكالتك عن الموكل الذي بكيت عنه.ولما ناول الوكيل القاضي الوكالة وقرأها قال القاضي: ما رأيت انه جعل اليك حق البكاء عنه اذ لم يرد في الوكالة انه وكلم في البكاء أيضاً. وهنا نهض الوكيل وضحك الحاضرون.. وقال فيهم الشاعر:

ما وكلاء الحكم ان خاصموا
إلا شياطين أولو بأس
قوم غدا شرهم فاضلاً
عنهم فباعوه على الناس

فقد وصفهم الشاعر بالشياطين عند الخصومة معتمداً على قوة الحجج وبلاغة الأدلة التي يقدمونها في المرافعة نباهتهم وتيقضهم في تدارك وتجنيب ما يمكن ان يحصل لموكليهم ووصف عملهم بأنه شر كثير عند مدافعاتهم واجراءاتهم في الدعوى وان هذا الشر أصبح كثيراً بحيث انهم يتقاضون أجور مقابل عملهم الذي أسماه بالشر.

متى استخدم العراقيون النقود ؟

أ.د. ناهض القيسي

النقود التي اصبحت اليوم اكسير الحياة، ولا تسير الامور بدونها.. كيف ظهرت وكيف تطورت ووصلت على ما عليه اليوم؟.. عاش الانسان القديم لحقب طوال وهو يتخذ الكهوف والمغاور سكنى له، ويجمع قوت يومه ويصطاد الحيوانات ويقطف ثمار الأشجار بدون ان يدفع ثمنا، استمرت الحياة هكذا لآلاف السنين، الى ان حلّ الزحف الجليدي الأخير الذي يعرف بعصر (البلايستوسين) حيث غطت الثلوج معظم مرتفعات العالم، لذلك اضطر الانسان الى ترك تلك الكهوف والبحث عن أماكن أكثر دفئاً، فكانت ضفاف الأشجار هي الأماكن المناسبة له، فأنشأ المستوطنات الأولى ودجن الحيوان وعرف الزراعة.. كان ذلك منذ عشرين ألف سنة من الآن.. وفي هذه المستوطنات البدائية عرف الانسان أولى العمليات الاقتصادية فكانت المقايضة حاجة بحاجة فالذي لديه حبوب فائضة وهو بحاجة الى الجلود مثلاً عليه ان يأخذ حبوبه الى سوق المستوطن للبحث عن طرف آخر لديه جلود وهو بحاجة للحبوب وتتم الصفقة بينهما، وقد يحدث بعض الاحيان ان الذي لديه جلود لا يرغب بالحبوب بل بحاجة الى السمن مثلاً، عندها يبدأ البحث عن طرف ثالث يكون لديه السمن وهو بحاجة الى الحبوب أو الجلود لتتم الصفقة.. هذه الصعوبات وغيرها دفعت بالانسان الى الانتقال من المقايضة الى السلعة الوسيطة، وهي تحديد سلعة محددة تكون قابلة للتبادل مع كل البضائع وكانت في العراق القديم الحبوب (الشعير) والمعادن (الفضة) هي السلعة الوسيطة وقد كشفت ذلك الشرائع والقوانين العراقية القديمة مثل شريعة اورنمو أو شريعة لبت عشتار أو قانون ايشنونا أو قانون حمورابي، حيث ورد في العديد من نصوص تلك الشرائع والقوانين الى ذكر الحبوب والفضة. وقد أختلفت السلعة الوسيطة من بلد لآخر ففي مصر القديمة كان حيوان الثور والسلاح سلع وسيطة وفي الصين كان المحار.. وفي الجزيرة العربية كان الجمل وما زال سلعة وسيطة فتحد ديّة القتيل بعدد من الجمال، كذلك صداق العروس بعدد من الجمال. وفي المجتمع العراقي القديم فضلوا التعامل بالمعادن (الفضة) على التعامل بالحبوب للصعوبات التي رافقت التعامل بالحبوب من حاجتهم الى أماكن واسعة، وجرار لحفظها ووسائط نقل لنقلها.. وحفظها من عوامل الطبيعة لذلك ازداد الاهتمام بالفضة وظهر (الشيقل) وهو وحدة وزن من العصر السومري والأكدي والبابلي والآشوري وفي العصر الآشوري الحديث أمر الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ . ٦٨١ قبل الميلاد) أمر بصنع قوالب للشيقل ونصف الشيقل. ومن ذلك الوقت نستطيع القول ان النقود قد ظهرت أي ما يقرب من ٢٧٠٠ سنة من الآن.. هذا الابتكار الاشوري (العراق القديم) يضاف الى ابتكارات العراقيين القدامى وما قدموه للانسانية من معرفة الكتابة وتدوين الملاحم، والتعدين، والتقدم الطبي، واكتشاف أول بطارية بالعالم ونستطيع ان نضيف لهم اكتشاف النقود أول مرة بالعالم.. هذا الاكتشاف للنقود انتقل من الآشوريين الى الليديين بلاد الاناضول (تركيا الحالية)، وقد طوّر الليديون هذا الاكتشاف عندما صنعوا نقودهم من معدن (الالكتروم) وهي سبيكة من الذهب والفضة وجدت في الطبيعة. ونقشوا على نقودهم الأولى (رأس الأسد فاتح فمه).. وفي السك الثاني نقشوا (رأس الأسد يقابل رأس الثور)، لا ينكر أحد ما بذله الليديون بصناعة النقود لكن يبقى الاكتشاف آشوري والمهم هو الاكتشاف.. أما التطور فهو تحصيل حاصل، وعن الليديين انتقلت صناعة النقود الى بقية أرجاء المعمورة.. أما عن طريق التجارة أو عن طريق الحروب كما حدث في بلاد فارس عندما تحاربوا مع الليديين ونقلوا عنهم صناعة النقود.

وقد اتخذت كل دولة أو مدينة كبيرة شعاراً معيناً نقشته على نقودها.

لقد عرف العرب النقود قبل الاسلام عن طريق التجارة وحتى ان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) عمل بالتجارة قبل نزول الوحي عليه، عندما تاجر لحساب السيدة خديجة (عليها السلام) وعرف النقود التي كانت متداولة حينذاك وهي الدنانير الذهبية البيزنطية والنقود الفضية الساسانية، اضافة الى النقود الفضية اليمانية حيث كانت أسواق العرب قبل الاسلام مثل سوق عكاظ وسوق نجران وغيرها من الأسواق يتداولون فيه جميع تلك النقود، وقد ورد اسم الدينار والدرهم في اشعار العرب قبل الاسلام وفي صدر الاسلام ومن هؤلاء الشعراء المكعبر الضبي، أحيحة بن الحلاج، وعنترة العبسي، وعمرو بن تبع وغيرهم.

وقد ذكر المكعبر الضبي:

كأن دنانيراً على قسماتهم
وان كان قد شغف الوجوه لقاء

وقول الشاعر أحيحة بن الحلاج:

فما هبرزي من دنانير ايلة
بأيدي الوشاة ناصع يتآكل

وقول الشاعر عنترة العبسي:

ولقد شربت من المدامة بعد ما
ركد الهواجر بالمشوف المعلم

ويريد بقوله المشوف المعلم هو الدينار.

أما قول الشاعر عمرو بن تبع:

فضلنا الناس كلهم جميعاً
كفضل الهبرزي على اللجين

والهبرزي هنا الدينار الذهبي، واللجين هي الدرهم الفضي. وفي الاسلام ورد ذكر الدينار والدرهم بالقرآن الكريم.. ففي سورة آل عمران الآية ٧٥: بسم الله الرحمن الرحيم.. (ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤدِه اليك..) صدق الله العظيم. وبالنسبة لذكر الدرهم فقد ورد في سورة يوسف الآية ٢٠: بسم الله الرحمن الرحيم: (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة). كما ورد ذكر الدنانير الدراهم في الأحاديث النبوية الشريفة ومنها قول الرسول (صلى الله عليه وسلم):(ان هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم ولا أراهما إلا مهلكيكم.) وفي حديث آخر قال (صلى الله عليه وسلم): (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الذي انما همه دينار أو درهم يصيبه فيأخذه.)

مما تقدم نجد ان الاسلام الحنيف قد ذكر الدينار والدرهم ويبدو ان الرسول الكريم كان قد أقرهما في التداول في صدر الاسلام وحدد بقدر معلوم في الزكاة والجزية.